

دمية القصر

وليس بين الساعة وبين عرض بَزْه ونشْر طَارزِه إلا كالوقت بين الورْد والقَرَب .
وسيردُ عليكَ من محاسن أشعاره ما تفخر به دواوين العرب . فممّا أنشدني الشيخ الرئيس
أبو المحاسن C لنفسه قوله من كلمة له :

وليلةٍ نُتجَ البدرُ التّمَامُ بها ... من الضّياء صباحاً ساطع النّورِ .
ساقيتُ كأساً من التّسّهد أنجمها ... فجرّرتُ ذيلَ سُكري أيّ تَجْريرِ .
كم قلتُ حين جرّرتُ خيلُ الصّيا خيباً : ... يا لَلجِياد التي تَحكي الصّيا سيري .
عمّرُ العُلا أنّني أسمو سَمَاوتها ... وإنّ أَعذّرُ فإنّي غيرُ معذورِ .
ما عُدّرتُ مَنْ أمكنته في العُلا فُرصُ ... فانصاع يجري إلى عجزِ وتَقصيرِ .
وأنشدني أيضاً لنفسه :

وليلٍ فاخرتي الغيمِ فيه ... غناءً للفواختِ والقَماري .
لبسنا فيه جِلبابَ التّصّابي ... إلى أنْ رُقَّ جِلبابُ النهارِ .
ونثره يربي على نظمه في قُربه من الأفهام وبعده عن المَرام : .
كذاكَ الشمسُ تبعُدُ أنْ تُسامى ... ويَدنو الضوءُ منها والشعاعُ .
الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن .

اتفقتُ على إمامته الألسنة وتجمّلت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة . وأثنى عليه طيبُ
العناصر وثُنيتُ به عقود الخناصر . فهي فردٌ في علمه الغزير لا بل هو العلم الفرد في
الأئمة المشاهير . وقد أفادني الشيخ أبو عامر مما ألقاه بحرُ الفضل على لسانه ما نطَق
لسان الدهر باستحسانه .

ولستُ فيما فاتني من كريم مشاهدته واشتؤيار لذيذ الشهد من مذاكراته أيام أسعدتني
الأيام منه بدنوِّ الدار ولفّ أطناب الخيمتين قربُ الجوار إلا كمنّ ودّع الماء والخُصرة
وتدرّع الشُّعْثة والغبرة وواصل الغُربة وفارق الوطن وبعُد عن مغاني للعين وشطنَ
واستسقى الدّلّو والشطنَ . فلما خلّف هذه الخُطط الصعبة وشارفَ من بين سائر الخُطط
الكعبة قلتُ : وإِ هذا وصفُ تتلّاع إليه الأحداق وتتلابّ عليه الأشداق قوله : .
وبُمهجتي يا عاذلي قَمْرُ ... قد شَفّني في حبّه السّقمُ .
فإذا جرى طَلاقاً أضربُ به ... نَفَسُ الصبا فتشوش اللّمامُ .
وتطايرو أهدابُ مُذْهَبِه ... كَسدتُ عليها الطُّرُزُ والعَلَامُ .
وقوله في معنى لم يُسبِق إليه :

عُلِّقَتْهَا بِيضَاءَ طَاوِيَةِ الْحَشَا ... تَسْبِي الْقُلُوبَ بِحُسْنِهَا وَبَطِيئِهَا .
مِثْلَ الشَّقَائِقِ فِي احْمَرَارِ خُدُودِهَا ... لِلنَّاطِرِينَ وَفِي اسْوَدَادِ قُلُوبِهَا .
وَمِنْ أَبْكَارِ مَعَانِيهِ قَوْلُهُ : .

وَنَائِمٍ عَنِ سَهَرِي قَالَ لِي ... وَقَدْ طَوَّانِي حُبِّيَّ طَيِّبًا : .
أَنْتَ حَيٌّ قُلْتَ : لَا انْتَبِهْ ... فَالْمَيْتُ فِي النَّوْمِ يُرَى حَيًّا .
وَمِنْ حِكْمَتِهِ الَّتِي لَا يَجْمَعُ السَّامِعُ فِي حِكْمَتِهِ قَوْلُهُ : .
عَوَّدَ لِسَانَكَ أَنْ يَلِي ... نَ عَلَى الْخَطَابَةِ وَالْخِطَابِ .
وَتَعَهَّدَ الْفِكْرَ الْجَدِي ... دَ بِصُونِهِ فِي كُلِّ بَابٍ .
فَتَأَكُّلُ السِّيفِ الصَّقِي ... لَ بِطَوْلِ لَبِثٍ فِي الْقِرَابِ .
وَقَوْلُهُ : .

لَا تُنْكَرَنَّ حَقَّ الْأَدِي ... بَ لِأَنَّ تَعَرَّيَ مِنْ ثِيَابِهِ .
فَالسِّيفُ أَهْيَبُ مَا يَكُونُ ... نَ إِذَا تَجَرَّدَ مِنْ قِرَابِهِ .
وَقَوْلُهُ : .

مَا فِي زَمَانِكَ مَا جَدُّ ... لَوْ قَد تَأَمَّلْتَ الشَّوَاهِدَ .
فَاشْهَدْ بِصِدْقِ مَقَالَتِي ... أَوْ لَا فَكُذِّبْنِي بِوَاحِدٍ .
وَقَوْلُهُ أَيْضًا : .

تَخْتَمُ فِي الْيَسَارِ فَلَسْتَ تَلْقَى ... طِرَارَ الْكُمِّ إِلَّا فِي الْيَسَارِ .
وَمَا نَقَضُوا الْيَمِينَ بِهِ وَلَكِنْ ... لِبَاسِ الزَّيْنِ أَوْلَى بِالْمَصْغَارِ .
لِذَاكَ تَرَى الْأَبَاهِمَ عَاطِلَاتٍ ... وَهُنَّ عَلَى الْأَكْفِ مِنَ الْكِبَارِ .
وَقَوْلُهُ : .

إِنِّي بُلِّيتُ بِحَاجِبِ حَجَبِ الْوَرَى ... بِمِطَالِهِ عَنِ زَيْلِهِ الْمَطْلُوبِ .
أَبَتْ الْمَلَاةُ أَنْ تُفْتَحَ جَفْنُهُ ... إِلَّا بِقَدْرِ تَبَسُّمِ الْمَكْرُوبِ .

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ أَبْيَاتِ لَهَا لِلشَّيْخِ أَبِي عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَوَافِيِّ يَصِفُ
تَرْجُوهُ لِلنَّكْبَةِ الْوَاقِعَةِ بِرِجْلِهِ . وَمِنْ مَدْحِ رَئِيسَاءَ بِالْعَرَجِ فَحَدَّثْتُ عَنْ فَضْلِهِ وَلَا حَرَجَ . وَلَمْ
أَسْمِعْ بِمِثْلِهِ فِي فَنِّهِ :